

## المقدمة:

(١)

أثار أبو العلاء جدلاً واسعاً حوله منذ أن عرف ، شاعر متمكن ، له سمت خاص فى التعامل مع اللغة ، فملاً الدنيا ، وشغل الناس ، وصار اختلاف الناس حوله أكثر من اتفاهم عليه ، ولم تكن شاعريته - والتي لا اختلاف عليها - هى السبب الأوحد فى هذا الجدل؛ بل كان لأرائه الفلسفية والعقائدية التى تضمنتها أشعاره ، وكتبه الأخرى هى الأهم فى هذا الجانب . فتناولته الأعلام بالرضا والمدح حيناً ، وبالذم والتهجين أحياناً ؛ بل كانت هذه الأراء سبباً مهماً فى تهميش شاعريته أحياناً كثيرة . فاقترب منه الكثير ، وابتعد عنه الأكثر ، فظل الناس بين هؤلاء وهؤلاء ، يشعرون ناحيته بالرضا مرة ، وبالسخط مرة أخرى . لكن اللافت للنظر فى تراث أبى العلاء هذا الكم الكبير من المصادر التى تناولته منذ حياته حتى يوم العباد هذا ، وكان "مصطفى صالح" قد قدم دراسة أكاديمية مفيدة تمتاز بدقة عالية وتحمل "بلوجرافية" عامة وشاملة رأى فيها كما يقول " دراسة مجمل الكتب والنصوص وأهم المقالات التى تتناول أبا العلاء " .

بلغت مصادر أبى العلاء عند صالح حوالى (٧٢٢) مصدرًا ، كما أرفقها بقائمة لأثاره بلغت حوالى (١٠١) أثرًا ، وقائمة بالأبيات النسوبة إليه بلغت حوالى (٣٢٦) بيتًا . وقد قدمها "صالح" لنيل درجة الدكتوراه تحت إشراف المستشرق "شارل بيلا" بكلية الآداب جامعة باريس ، ونشرتها مجلة الدراسات الشرقية التى يصدرها المعهد الفرنسى بدمشق ( فى العددىن الثانى والعشرين ١٩٦٩ ، والثالث والعشرين ١٩٧٠ ثم نشرت فى كتاب فى مطبعة العلم فى دمشق ١٩٧٨ )<sup>(١)</sup> .

١- مصطفى صالح ، كتاب مصادر دراسة أبى العلاء المعرى "حسب تسلسلها الرنى" ، دمشق مطبعة العلم، ١٩٧٨

## التشكيل الاستعارى فى شعر أبى العلاء المعرى

لم يدّع "مصطفى صالح" لنفسه أنه وضع يده على كل ما كتب عن أبى العلاء وهذا واضح من كلامه "دراسة مجمل الكتب والنصوص وأهم المقالات" لأنه من المعروف كمّ ما ضاع من مصادر عربية من جهة ، وما هو بعيد عن يد "صالح" من جهة ثانية ، وما توقفت عنده رسالته حيث تاريخ كتابتها من جهة ثالثة . ولكى يخرج "صالح" دراسته هدداً اعتمد على مصادر مهمة ورئيسة فى التراث العربى عامة ، وفى تراث أبى العلاء بصفة خاصة وهى :

- بروكلمان ، تاريخ الأدب العربى ، فهرست دار الكتب فى القاهرة .
- يوسف سركبس ، معجم المطبوعات العربية .
- يوسف داغر ، ٣٥٠ مصدرًا فى دراسة أبى العلاء المعرى مصادر الدراسة العربية .
- تعريف القدماء بأبى العلاء .
- قنواتى وكوينتز ، الكتب العربية المطبوعة فى مصر ، عام ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ ، ١٩٤٤ .
- مجلة معهد المخطوطات العربية .
- عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين .
- بيرسون ، الفهرس الإسلامى .
- فهارس الظاهرية فى دمشق ، والمكتبة الوطنية ، ومكتبة معهد اللغات الشرقية فى باريس ، وفهارس المجالات المختلفة .

إن دراسة " مصطفى صالح" تقليد طيب ، يقدم دراسة ببلوجرافية شاملة تجعل الباحث يتوجه ناحية النص مباشرة ، وهو يحمل بين جوانحه ما يخص صاحبه ، وما كتب عنه ، كما تمنح الباحث حسن التوجه لإضاءة نقاط ربما لم يصلها الضوء بعد . كما أنها تعيد الاهتمام لنقاط توارت نتيجة لأسباب خارجة عن الإطار الفنى للنص . هذا بعض ما

## التشكيل الاستعاري في شعر أبي العلاء المعري

يمكن أن تقدمه دراسة بلوجرافية مهمة عن شاعر مثل أبي العلاء ، الذي لا يمكن للباحث أن يفصل إبداعه عن تقلبات حياته وصراعات عصره الفكرية والسياسية والاجتماعية .. وغيرها . مهما كانت هذه النقطة مدار اهتمام المذاهج النقدية أو خارجة عن هذا الاهتمام . لقد قدم "مصطفى صالح" في رسالته أكثر من (٧٢٢) مصدرًا تخص دراسة أبي العلاء وإبداعه حتى تاريخ كتابة رسالته . كان ذلك يستوجب بداية . وما دمت بصدد استخدام الإحصاء كأداة من أدوات منهج دراسة أبي العلاء . قراءة هذه المصادر قراءة إحصائية ، وتصنيفها للاستفادة منها . والاستفادة من الإحصاء ، تعنى الوصول إلى معرفة المناطق التي نالت الاهتمام في إبداعه ، والمناطق التي أصابها الغبن وقد اتضح من خلال هذه القراءة مايتى : -

- مصادر تناولت السيرة الذاتية لأبي العلاء ( والمقصود بالسيرة الذاتية حياته وصراعات عصره دون أن يكتفى للجانب الفني في شعر أبي العلاء نصيب فيها ) وهذه بلغت حوالي : ٤١٧ بنسبة حوالي ٥٧.٧٥ / .
- مصادر تناولت أعمال أبي العلاء ، وقدم بعضها دراسة أدبية فنية ، وبعضها كان وصفًا لأعماله وقد بلغت حوالي ٩٤ مصدرًا بنسبة ٣٠.٠١ / .
- قصائد كتبت في أبي العلاء ، أو جاء اسمه فيها ، أو رسائل له أو منه ، وهذه بلغت حوالي ٩٣ مصدرًا بنسبة ١٢,٨ / .
- مصادر تناولت الجانب الاعتقادي ، والفلسفي وبلغت هذه المجموعة ٧٣ مصدرًا بنسبة ١٠.١١ / .
- مجموعة من المصادر فيها وصف لمخطوطات أو جاء اسمه فيها عرضًا وقد بلغت حوالي ٤٥ بنسبة ٦.٢٣ / .

## التشكيل الاستعارى فى شعر أبى العلاء المعرى

من هذه القراءة يتضح أن المصادر التى تناولت الجانب النصى فى إبداع أبى العلاء تناولاً نقدياً فنياً لم تتجاوز ١٣,١ ٪ من النسبة الكلية للمصادر. وهذه النسبة بالطبع موزعة بين الجانب النثرى والجانب الشعرى ، وقد نال الجانب النثرى معظم هذه النسبة أما الجانب الشعرى فكان التفاوت موجوداً فيه أيضاً . فقد نال "سقط الزند" الاهتمام الأكبر حيث تناقله الرواة ، وتناولوه بالشرح والتحليل ، واستشهدوا به فى أماكن كثيرة على حين ابتعد الناس عن "اللزوميات" ، وترك دون شرح ، أو تحليل ، أو تفسير لغوامضه ، كما صدر عن مؤلفه ، ولولا ما اختاره "ابن السيد البطليوسى" من لزوميات تولى شرحها ، وما شرحه "طه حسين" من "اللزوم" أيضاً لبقى هذا الديوان - كما بقى أكثره إلى اليوم - مبهماً مستغلقاً ، فى حاجة إلى التفسير والكشف والتوضيح"<sup>(١)</sup> .

### (٢)

منذ أن استهل "طه حسين" درسه الأكاديمى بالبحث فى إبداع أبى العلاء ، من خلال رسالته التى تقدم بها إلى الجامعة المصرية . والتى كانت بعنوان ( تاريخ أبى العلاء ) ونال بها درجة الدكتوراة ١٩١٤ ، وتوالت الدراسات الأكاديمية التى تحث فى أدب أبى العلاء وفلسفته وعقيدته نذكر منها ما يخص موضوعنا :

• أول هذه الدراسات ، دراسة "رسمية موسى" وهى بعنوان ( أثر كف البصر على الصورة عند المعرى ) والتى كانت بإشراف (الدكتورة /سهير القلماوى ) فى آداب القاهرة ثم نشرت فى كتاب ١٩٦٦ . وهذه الدراسة لم تعتمد على تحليل منابع الصورة عند المعرى ، كما أنها لم تضع فرقاً بين ما ورثه أبو العلاء من صور على اعتبار أنه لم يحرب الرؤية المصرية للأشياء . ويبين ما أنتجه اعتماداً على هذا

١- انظر مقدمة د/ حامد عبد المجيد لشرح المحتر من لزوميات أبى العلاء ، لأبى محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩١ ، ص ٣ ، ٤

## التشكيل الاستعاري في شعر أبي العلاء المعري

الميراث . ولما كان الأساس لديها أن تركز على أثر العاهة وإظهارها ، راحت تبحث في الصور الصورية وما يقاسمها التشكيل ، مثل حاسة السمع .

• **الدراسة الثانية :** هي دراسة الباحث السوداني عبد الله عووضة حمود وهي بعنوان ( الصورة الشعرية عند المعري دراسة نقدية قوامها التحليل والإحصاء ) والتي كانت بإشراف د/ محمود بخيت الربيعي ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ١٩٨٦ . وهذه الدراسة اتخذت من الجانب البلاغي ومن أشكاله منطلقها ، فبحثت في التشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، وسائر أنواع البيان والبدیع ؛ ولكنها بالإضافة إلى نظرتها التقليدية ، قامت على أساس جزئي حيث الثنات المعجمي والدلالي فانعزلت الصورة عن سياقها الحي ، وذلك من خلال انفصالها عن آلياتها البلاغية الأخرى .

• **أما الدراسة الثالثة :** فهي دراسة "كامل الصاوي" وهي بعنوان الصورة الفنية في سقط الزند المصدر والبناء " وهي رسالة مخطوطة ، نال بها صاحبها درجة (الماجستير) من آداب المنيا ١٩٨٤ ، والدراسة تحمل أبعادًا متعددة للصورة استفاد فيها صاحبها من منحز أستاذة الدكتور "علي البطل" في البحث في تشكيل الصورة وأقسامها وأبعادها .

• **أما الدراسة الرابعة :** فبحثت في موضوع كف البصرمة أخرى فكان عنوانها ( أثر كف البصر على تشكيل الصورة عند أبي العلاء المعري في اللزوميات ورسالة الغفران ) ، ونال بها صاحبها درجة (الماجستير) من آداب المنيا ١٩٩٨ وهو محمد أحمد منتصر " والدي استفاد من دراسة أستاذة السابقة فقد كانت بإشرافه .

## التشكيل الاستعاري في شعر أبي العلاء المعري

بعد كل هذه المصادر التي جاءت عند "صالح" وهذه الدراسات الأكاديمية في جامعاتنا هل من جديد يمكن أن تقدمه قراءة أخرى جديدة للمعري ؟  
من (العرض السابق) يتضح (الآتي) :-

لقد كانت الصورة بأبعادها هي القاسم المشترك في هذه الدراسات . ومصطلح الصورة من منجزات الدرس النقدي الغربي التي صاحبها في التطبيق على الإبداع العربي كثير من المتاعب ، كما أن النظرة البحثية - لإبداع أبي العلاء - السابقة قد اتخذت مناحى جزئية سواء ما تناول منها "السقط" ، أو "اللزوميات" ، أو غيرها من أعماله . ومن هنا ، أظن أنه ما زال التشكيل البلاغي عامة ، والتشكيل الاستعاري خاصة ، يكرراً في إبداع أبي العلاء على الرغم من أن دراسة " عبد الله عووضة " قد رسمت لنفسها البحث في الأشكال البلاغية ؛ إلا أنها قامت على أساس حزئي حملت معه ثباتاً في المعجم البلاغي ، وثباتاً في الدلالة ، ولم تخرج من ذلك إلى دلالة كلية ، مما جعلها منعزلة عن سياقها وعن آليات النص الأخرى .

### (٣)

حين نعرض لمفردات العنوان " التشكيل الاستعاري في شعر أبي العلاء المعري دراسة أسلوبية إحصائية " يتضح أن المقصود من التشكيل هنا ، هو البنية التكوينية للنص ، وهذه البنية تمتلك شكلها بصورتها هذه ، قريحة الشاعر ؛ لكن هذا التشكيل حُصص بالجانب الاستعاري ، والمعروف أن درس الاستعارة في جانبه النظري في تراثنا العربي ، صال فيه علماؤنا وجالوا . كما سنرى . لكنه في جانبه التطبيقي لم يحظ إلا بالاندر اليسير قديماً وحديثاً .

## التشكيل الاستعاري في شعر أبي العلاء المعري

في الدرس البلاغي القديم كانت أغلب الشواهد مكررة ، نجدها لدى السابق واللاحق ، رأينا كيف تكررت شواهد "الزُّماني" عند اللاحقين عليه ، وكيف تكررت شواهد "عبد القاهر" بعده ، وشواهد "السكاكي" التي صارت عند شارحيه بضاعة شائعة ، وسنننا تعليمية جليلة ، حتى دراسة "الأمدي" والتي كان مجالها التطبيقي فسيحاً لم تتسم بالموضعية . وليس العيب هنا عيب الرمانى ، وعبد القاهر ، والسكاكي ، أو حتى عيب الأمدي ، وإنما العيب في قارىء هذا التراث ، العيب في التقليد والسنن الجامدة التي لم تكن مقصورة على النلاغة وحدها ؛ بل شملت العديد من علوم العربية ، التي توحى نشأتها للنظر إليها ، والمتتبع لتطورها أنها عبارة عن طفرات ، لم تبدأ بتمهيد يوحى بهذا الإبداع في النشأة ، ولم تتبع باستمرار يوحى بالنمو والتطور .

هذا ما ورثه درسنا البلاغي الحديث ، رؤية ثابتة ، وشواهد مكررة ، وذوق في أغلب الأحيان يتعد عن الموضوعية ، ويخضع لتأثيرات فكرية وسياسية وعقائدية ، ولما كانت الاستعارة أكثر عناصر هذا الدرس تأثراً بهذه المؤثرات الفكرية ؛ بل وأكثره تشابكاً بين بلاغيين ، ومفسرين ، وفلاسفة ، وأصوليين ، نحويين ولغويين ، أدباء ونقاد ، كانت لذلك أكثر عناصره ابتعاداً عن الحيطة العلمية لكثرة ما اعتقد الناس فيها من تمام درسها وأقول نجمها من ناحية ، وإيثاراً للسلامة من ناحية ثانية .

من هنا كانت النظرة للتشكيل الاستعاري خاصة عند واحد من أكثر شعراء العربية عمقاً ، وأطوعهم لغة ، وأقدرهم على تنفيذ ما ألزم به نفسه ، فجاء إبداعه حديثاً وتشكيله للصورة فريداً .

من هنا ، كان للبحث مبرراته لاختيار أبي العلاء .

## التشكيل الاستعاري في شعر أبي العلاء المعري

اتضح من خلال دراسة مصادر أبي العلاء ، أن الجانب النصي عنده لم يحظ إلا بالنذر اليسير من الاهتمام ، وهذا النذر اليسير لم يحظ الجانب البلاغي فيه إلا بأقله . من هنا جاءت مبررات البحث لتجول في إبداع أبي العلاء النصي من خلال رؤية علمية تعرض للنص الشعري كله . كما أنها تنوي البحث في ارتباط الاستعارة عنده بتكوينه الروحي ، وحسه الفكري ، كما أنها تبحث في ارتباطها بمراحل تدرجه الحياتي . فهل جاءت الاستعارة في الـ"سقط" كما جاءت في "اللزوميات" ؟ وهل كان لأبي العلاء الناقد والشارح دور في تكوين استعارات أبي العلاء الشاعر ؟

إن أبا العلاء بجوار إبداعه الشعري كما هو متعارف عليه لدى الناس ، هو ناقد وشارح لدواوين أبي تمام ت( ٥٢٣١هـ) والبحترى ت ( ٥٢٨٤هـ) ، والمتنبي ت ( ٥٣٥٤هـ) ، وهذه مسألة من الصعب إغفالها وأنت تعرض لشاعرية شاعر مثل أبي العلاء ، قارئ نهم لتراث العربية الشعري ، صاحب رأى فيه ، لما منحه الله بجوار قريحته الشعرية ، قريحة نقدية قادرة على الاستنباط والتحليل ، أضيف إلى ذلك مقدرته اللغوية والنحوية والمعجمية التي جعلته يلزم نفسه بما لم يستطع غيره فعله، كما أنه صاحب ذاكرة وعت ما قرأت واخترنت ما وعت فهل كان لإبداع هؤلاء أثر واضح في التشكيل الاستعاري عند أبي العلاء؟ (١)

١- هناك أكثر من دراسة أكاديمية تناولت الجانب النقدي في إبداع أبي العلاء وتأثره بشعر أبي تمام والبحترى والمتنبي منها:

- ناديا على الدولة ، عبث الوليد ، دراسة وتحقيق ، ماجستير ، إشراف د/ حسين نصار ، آداب القاهرة ١٩٧٦ .
- ناديا على الدولة، البند في آثار أبي العلاء المعري ، دكتوراه ، إشراف د /حسين نصار ، آداب القاهرة، ١٩٩٧ .
- حسين محمد محمود ، تحقيق ودراسة شرح حماسة أبي تمام حبيب ابن أوس اللطاني ، المنسوب لأبي العلاء المعري ، إشراف د/ محمد مصطفى هدار ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية .
- عبد المجيد شعبان نيب ، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي لأبي العلاء المعري ، دراسة وتحقيق دكتوراه ، إشراف الدكتور الطاهر مكي كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ١٩٨٢ .
- خليل إبراهيم أبو ديب ، أثر المتنبي في أبي العلاء في سقط الزند ، رسالة ماجستير بإشراف د/ يوسف خليل كلية الآداب / جامعة القاهرة ، ١٩٦٨ .
- زهدى صابر الحواجة ، موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء ، دكتوراه ، جامعة الأزهر ، كلية اللغة العربية بالقاهرة ١٩٧٨ .

## التشكيل الاستعاري في شعر أبي العلاء المعري

أما عن العنوان الثاني "دراسة أسلوبية إحصائية" فيجب أن يطرح من جانبيين الجانب الأول: علاقة الأسلوبية بالبلاغة، والجانب الثاني: علاقة الأسلوبية بالإحصاء، فعلى الرغم من الاختلاف الكبير بين البلاغة والأسلوبية إلا أننا نقول مع بيير جيرو "إن الأسلوبية بلاغة حديثة ذات شكل مضاعف" (١). إن تصريح "جيرو" وجد كثيرًا من المؤيدين الذين يرون في الأسلوبية واقعًا لتطور أدوات البحث البلاغي وليس نفيًا لها، ومن هنا جاء تصريح أولمان " ... أنه ليس خطأ محضًا أن يوصف علم الأسلوب بأنه " بلاغة جديدة" تناسب المستويات والمتطلبات العلمية المعاصرة في حقل اللغويات والأدبيات على السواء" (٢).

تلتقى البلاغة مع الأسلوبية كثيرًا، وأكثر مناطق التقائهم في دراسة الصور "تختص الأسلوبية فيها بالجانب الحسي المباشر في التركيب اللغوي للنصوص وتقوم البلاغة بتحليل تداخلاتها وتصنيف أشكالها ومحاولة تحديد وظائفها وشرح الفلسفة الكامنة ورائها في الرؤية العامة" (٣)، وهذا ما تختطه الدراسة لنفسها حيث تقوم الأسلوبية بوظيفة الإحصاء والقياس للظاهرة، وتقوم البلاغة بجوانب التحليل واستنباط الدلالة، مع قناعة الباحث وبحثه أن الإحصاء وحده غير كاف أمام النص الأدبي، بل تنعدم قيمته إن لم يردفه صاحبه بتحليل لهذه الرؤية الإحصائية، وبالمثل فالتحليل الذي لا يعتمد على تقنين علمي محدد، فهو غير كاف أيضًا، لخضوعه لاختلاف الأنواع والرؤى والميول الشخصية، ومن هنا كانت مسألة الادعاء بأن الدراسة الأسلوبية قد قامت في

١ - بيير جيرو، الأسلوبية، ترجمة، د / سنتر عياشي، ط٢، مركز الإنماء الحضاري، ١٩٩٤، ص ٩  
٢ - ستيفن أولمان، اتجاهات جديدة في علم الأسلوب، ضمن كتابه اللغة والأسلوب، ترجمة د/ شكرى عياد، ضمن مختاراته اتجاهات البحث الأسلوبى ط٣، القاهرة، أصفقاء الكتاب للنشر والتوزيع، ١٩٩٩، ص ١٢١.  
٣ - د/ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب (عالم المعرفة) الكويت ١٩٩٢، ص ١٨٧.

## التشكيل الاستعاري في شعر أبي العلاء المعري

الغرب على أنقاض البلاغة ، فهذا أمر يحناح إلى مراجعة ، حتى في الدرس النقدي الغربي ذاته ، فلم تأخذ الأسلوبية أبدًا موقع البديل ، ولم تعط لنفسها وظيفة الإزاحة ، بل جاءت تحمل تقنيًا يسبق التحليل ، وتحديدًا يسبق الاستنطاق .

لقد زعم الكثيرون من أصحاب الاتجاه الأسلوبى ، موت البلاغة <sup>(١)</sup> ، وهذه مسألة كما سلف تحتاج إلى مراجعة أيضًا على مستوى التلقى والتطبيق ، فحين قدم "بييرجيرو" تعريفًا للأسلوبية جعلها " بلاغة ولكنها بلاغة تستند إلى تعريف جديد لوظيفة اللغة والأدب المصممين كتعبير عن طبيعة الإنسان وعلاقاته مع العالم " <sup>(٢)</sup> ، وإذا كان هذا هو طبيعة العلاقة بين البلاغة والأسلوبية في الدراسات الغربية ، فالأمر في العربية مختلف لأن التراث العربي مرتبط بجذور عميقة ، وبعلاقات فكرية معقدة ، وبأصول اعتقادية ثابتة. وليس معنى سقوط البلاغة وقيام الأسلوبية أن يكون ذلك نموذجًا واجب التكرار في الإبداع العربي ، فما سنراه لاحقًا من كتابات شيوخنا يجعلنا نرى كم كانت البلاغة منهجًا مكتملًا للتحليل . فقط لوتابع الأبناء ما وصل إليه الأجداد ، أو حتى استدرك الأبناء ، مافات الأبناء. " لقد كان وهماً ما تصورناه ، ونحن واقعون تحت تأثير النقد الاجتماعى والنفسى والتاريخى والانطباعى من إمكان تجاوز البلاغة القديمة باعتبارها قواعد جامدة وإذا كانت هذه البلاغة قد فقدت الكثير من المواقع فى المؤسسات التعليمية فإن ثورة علوم اللغة وما أعقب ذلك قد سه الأدهان إلى أن البلاغة لن تموت " <sup>(٣)</sup>

إن الغرض إذن هو البحث فى كيفية الاستفادة من الدرس الأسلوبى . فلماذا لا نستفيد البلاغة العربية من الأسلوبية ، ومن أدواتها لكى تتنوع طرق تناول وتؤتى بثمار

١ - انظر الفصل الذى عقده بيير جيرو عن ستوط البلاغة ، الأسلوبية ، المرجع السابق ، من ص ٢٣ ٤٨

٢ - بيير جيرو ، المرجع السابق ، ص ٤٧

٣ - الولى محمد ، الصورة الشعرية فى الخطاب البلاغى والنقدى ، بيروت ، المركز الثقافى ١٩٩٥ ، ص ٦٦

## التشكيل الاستعاري في شعر أبي العلاء المعري

جديدة ، إن الأسلوبية تدين بالفضل الكبير للبلاغة فقد خرجت من عبائتها ، نموذجًا لتوالد العلوم بعضها من بعض ، ولتطور المناهج بعضها عن بعض ومن هنا لا يمكن أن تنفر الأسلوبية من كونها بلاغة . " والواقع أن التراث النقدي يحتوي على توجيهات "أسلوبية" تعزز أسلوبية بعض أفكار النقاد العرب ؛ ومن ثم تسمح بالتأصيل الأسلوبي للعربية ، ولا سيما أن كلاً من البحث النقدي واللغوي المعاصرَيْن قد أثبتا لبعض النقاد القدامى مثل عبد القاهر الجرجاني رؤيةً أسلوبية نشطة في معالجاتها النقدية البلاغية"<sup>(١)</sup> .

فلو عدنا إلى العربية ولاحظنا الثراء التي تتمتع به في بنيتها الصوتية ، والصرفية والمعجمية ، واللغوية ، والتركيبية ، والنحوية ، والدلالية ، والبلاغية ، يحتم على المشتغلين بها فرضية فهم هذه الأدوات أولاً ، ثم يأتي بعد ذلك تطوير التعامل مع هذه الأدوات ، وليس المقصد من هذا القول هو ترديد شعارات الافتخار ، وإنما أقول ذلك حين أجد كلامًا لرائد من رواد الأسلوبية الفرنسية يشكو من " أن المحصول الأسلوبي للبنى الصرفية ضعيف عمومًا في اللغة الفرنسية ، كذلك فالتكوين فيها من جهة أولى ضيق جدًا " <sup>(٢)</sup> ، فإذا كانت اللغة الفرنسية والتي ترعرع بين جنباتها العديد من المذاهب النقدية والفكرية الحديثة عامة ، والأسلوبية خاصة ضعيفة في بنيتها الصرفية والتكوينية ، وأقررت العديد من هذه المناهج والمذاهب ثم استفادت منها كل هذه الاستفادات . فلماذا لا تستفيد لغة كالعربية ، بقوة تكويناتها ، وتركيباتها تلك ، من هذه المذاهب والمناهج والمدارس خاصة المدرسة الأسلوبية ؟ ، ولماذا لا تستفيد البلاغة العربية من تطور أدوات البحث الأسلوبي ؟ ولماذا لا نقيم مزوجة بين البلاغة والأسلوبية ؟ إن مزوجة البلاغة بالأسلوبية يمثل " نوعًا من النقد يركز في مجمله على النص في صياغته دون دخول في جوانب فرعية لا تتصل

١ - د حسن السنداري، أسلوبية الرؤية المعاصرة لإضاءة التراث النقدي، ص ١٤-١٥، فكر وإبداع، ع(٥)، مارس ٢٠٠٠

٢- بيير جيرو ، نفسه ، ص ٦١

## التشكيل الاستعارى فى شعر أبى العلاء المعرى

بصميم التركيب اللغوى " (١) . إن محصلة التعامل مع المناهج النقدية الحديثة فى بلادنا العربية . حتى الآن . تنحوى فى الغالب نحو الفردية والذاتية ، وتتماشى مع "الموضة" فإذا ما توارى هذا المنهج أو ذلك ، وانتهى ما حوله من ضجيج أدارله معتنقه وجهه ، ثم تولى عنه كأن لم يعرفه دون أن يكمل معه ما بدأ ، أو يواصل بصحبته ما نوى . ومن هنا ازدادت القطيعة المعرفية بين هؤلاء وهؤلاء ، بين أجيال وأجيال ، مع العلم ، أن العلم يحتفظ للمخلصين من أساتذتنا بجهود عميقة مبدولة ، وأدوار فى التعريف بالمذاهب والمدارس الغربية واضحة ملموسة . يدق دور على أجيالنا فى حسن الملائمة والاختيار . والتوفيق بين مناهج الماضى والحاضر والقدرة على التطبيق ، لا العودة مرة أخرى فى تضييع الوقت فى التعريف بها . والانقسام حول مدى ملائمتها لتراثنا ، وإبداءنا وتغيير وتبديل ونحن نلهث من جديد ، دون فائدة تعود .

أما الجانب الآخر فى العنوان وهو علاقة الأسلوبية بالإحصاء ، فهذه علاقة جاء حولها خلاف كثير ، فإذا كانت الرؤية تنطلق من كون الأسلوب واقعة فردية ونوعية ولتفقيدها من جهة أخرى لا يمكن إدخالها فى أية فئة محددة وكمية للتحليل الإحصائى فكان الاعتراض المقدم يرى أن الطريقة الإحصائية تعوزها الحساسية الكافية للتقاط بعض الملاحظ الدقيقة فى الأسلوب ، كما أن البيانات العددية يمكن أن تضفى دقة زائفة على معطيات أشد تعقيداً ، كما أن الإحصاء الأسلوبى لا يراعى تأثير السياق ، وهو أيضاً يقدم الكم على الكيف (٢) . فعلى الجانب الآخر نرى مذهباً آخر ، يلاحظ أصحابه أن التحليل الإحصائى هو الأداة لكل العلوم الإنسانية . ويؤيد ذلك ما ذهب إليه "رينيه

١- د / محمد عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ ، ص ٧

٢- انظر هذه الماحد عند ستيفن أولمان ، اتجاهات جديدة فى علم الأسلوب ضمن كتابه اللغة والأسلوب ، ترجمة

د/ شكرى عياد ، ضمن مختاراته اتجاهات أسطى الأسلوبى ، المرجع السابق ، ص ١٠٦ ، ١٠٧

## التشكيل الاستعاري في شعر أبي العلاء المعري

ويليك" و"استن وارين" من مدح للنظرة الشمولية التي ينتهجها التحليل الإحصائي والتي تتخذ من العمل الإبداعي مدارًا لها ف"التحليل الأسلوبي يبدو أكثر فائدة للدراسة الأدبية حين يستطيع أن يقيم مبدأً موحدًا أو يوجد غاية جمالية عامة تشمل العمل الأدبي بكامله"<sup>(١)</sup>. إن الكلام السابق تتضح أهميته من كونه أشار إلى إقامة المبدأ الموحد من خلال الإحصاء ، وإيجاد الغاية الجمالية من خلال التحليل . ليخرج الباحث برؤية متكاملة للعمل الأدبي ؛ لكن أحد الباحثين كان أكثر واقعية حين قال إن "المشكل الذي يعترض دارس الأسلوب في كل خطوة لا يتمثل في انغلاق الأبواب الموصلة إلى الهدف أمامه . إنما هو يتمثل في انفتاح كثير من الأبواب في نفس الوقت فيتعذر وقوعه على أوفقها ، وليس ولوجها جميعًا بأكثر توفيقًا من الإحجام عن اجتياز أي منها ولذلك يتحتم الاختيار"<sup>(٢)</sup> . ويذهب "جون كوين" إلى القول "إن الدراسة الإحصائية للأسلوب تتطلب خطوتين : أحدهما ، تبين خصائص الظاهرة ، والثانية قياسها"<sup>(٣)</sup> ثم يقول " ... إن العون الذي نطلبه من علم الإحصاء ليس متمثلًا في أن يعطينا هو نفسه مفاتيح الشعر ولكن في أن يمحس فرضًا يبدو لنا من خلال التأمل في مجموعة من الأمثلة المنتقاة"<sup>(٤)</sup> من ينظر بإمعان لكلام "كوين" ينتابه شيء من الحيرة . فهل أغفل الدور التحليلي الجمالي التالي لمرحلة قياس الظاهرة . وما المقصود من قوله أنه لا يطلب من الإحصاء مفاتيح الشعر ؟ وهل يكفي بإحصاء الظاهرة وتبيين خصائصها دون اللجوء إلى تحليلها ، وإظهار

١ - رينيه ويليك ، واستن وارين ، نظرية الادب ، ترجمة محي الدين صبحي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ١٩٨٧ ص ١٨٧، ١٨٨  
٢ - دهمحمد الهادي الطرابلسي، في منهجية الدراسة الأسلوبية ، ضمن كتاب أطفال ندوة اللسانيات واللغة العربية ، تونس ١٢ - ٩ ديسمبر ١٩٨٧ الجامعة التونسية ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية ، والاجتماعية ص ٢٢٣  
٣ - جون كوين ، بناء لمة الشعر ، ترجمة د/ احمد درويش ، الهيئة العامة لتقصور الثقافة ، أكتوبر ١٩٩٠ ، ص ٢٥  
٤ - جون كوين ، المرجع السابق ، ص ٢٦

جمالياتها ؟ من هنا كان علي البحث أن يراعى فى المنهج الذى سلكه ما وجه له من مزايا وما أخذ عليه من انتقادات ، حتى نخرج النتائج وهى تحمل جانباً من الرضا والقبول .

(٤)

بعد اختيار المنهج فى الدراسات الإنسانية من أعتى الصعوبات التى يواجهها الباحث ، ذلك لأن معظم المناهج الحديثة نشأت فى تربة مختلفة عن تربتنا من ناحية ومن ناحية أخرى ما اتسم به معظم ناقلها ومعتنقها فى بلادنا العربية من عجمة لم تصب فقط النقول ولكنها أصابت العقول كذلك ، فوجدنا فى الصفحة المكتوبة احتشاداً وازدحاماً لمصطلحات أعلام الفرنجة وأسماؤهم يفوق ازدحام الموالد والأعراس فى قرأنا وإذا قرأت أكثر من ترجمة لكتاب واحد من هذه الكتب لوجدت للمصطلح الواحد العديد من المسميات التى تبدد الفهم ، وتثقل الذهن ، وتعيق الخروج برؤية موحدة للأساس الأول لأى نظرية علمية ألا وهو المصطلح . زد على ذلك مشكلة الاستهلاك ؛ لا الإنتاج التى يتسم بها وضعنا الفكرى منذ أقول عقولنا عن الاجتهاد ، ويقظة عقول أخرى من نوم وسهاد وسم حالها سنين عديدة ، وسيطر على أذهانها قروناً مديدة .

إن الإبداع الإنسانى يأبى دائماً الأحكام الجاهزة ويتمرد عليها لاختلاف بصمات عقول الناس بعضها عن بعض ، بل لاختلاف تفكير العقل الواحد من زمن لزمان ، فكيف يدعى منهج واحد لعقل واحد فى زمن واحد هذه القدرة ؟ من هنا ، فإن الباحث ويحثه يؤمنان بأن النص وحده القادر على تفتيق منهجه ، وتفصيل عباؤه التى تبرز جماله وروعته ، وهل يُظهر جماله جلاب غير حلساه ؟

إذا كان البحث قد ارتضى الأسلوبية الإحصائية أداة لمنهجه ، فليس الإحصاء بضاعة غريبة علينا ، إنه صاحب جذر عميق فى تراثنا العقائدى والفكرى . لقد ورد الفعل

أحصى إحدى عشرة مرة في القرآن الكريم<sup>(١)</sup> في موضع العدد وأجمع كثير من المفسرين فيها على معنى الدقة والصواب والضبط ففي تعليق الطبري على (الآية ١٢ من سورة الكهف) (ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِئُوا أَمَدًا) "...أى الطائفتين اللتين اختلفتا في قدر مبلغ مكث الفتية في كهفهم رقودًا أحصى لما لبثوا أمدًا يقول أصوب لقدر لبثهم فيه أمدًا"<sup>(٢)</sup> والإمام الزمخشري في تعليقه على الآية الكريمة ذاتها يقول " (و) أحصى ( فعل ماض ، أى أيهم ضبط ( أمدًا ) لأوقات لبثهم " <sup>(٣)</sup> ، وفي تعليقه على الآية الكريمة ٢٨ من سورة الجن (لِيَعْلَمَ أَن قَدَّ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عِنْدَنَا ﴿١٨﴾)

يقول: ( وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عِنْدَنَا ) من القطر والرمل وورق الأشجار، وزيد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه ، وعددًا : حال أى وضبط كل شيء معدودًا محصورًا<sup>(٤)</sup> . ووردت الكلمة في { الآية ٤٩ من السورة ذاتها } (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) وكذلك سورة يس الآية ١٢ { إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ } ويقول "عبد القادر البغدادي" صاحب "الخرانة" ذاكراً لنا استخدام العرب للإحصاء معلقاً على بيت للأعشى ميمون :

ولست بالأكثر منهم حصاً وإنما العزة للكائر

١- الآيات بترتيب حسب ورودها في ترتيب المصحف الشريف : إبراهيم ٣٤، النحل ١٨، الكهف ١٢، ٤٩، مريم ٩٤، يس ١٢، المجادلة ٦، الطلاق ١، الجن ٢٨، المزمل ٦٠، النبأ ٢٩.

٢- محمد بن جرير الطبري ، جامع البيل في تفسير القرآن ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ ج ١ ص ١٣٦

٣- محمود بن عمر الزمخشري ، التثانيف عن حقائق وغوامض التنزيل ، رتبته وضبطه وصرحه ، مصطفى حسين أحمد دار الكتف العربي ، د.ت ، ج ٢ ، ص ٧٠٥

٤- الزمخشري ، المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٦٣٣

## التشكيل الاستعاري في شعر أبي العلاء المعري

والحصا (العدد) والمراد به هنا عدد الأعوان والأنصار وإنما أطلق الحصا على العدد لأن العرب أميون لا يعرفون الحساب بالقلم ، وإنما كانوا يعدون بالحصا وبه يحسون المدود واشتقوا منه فعلاً فقالوا أحصيت " (١) .  
أما الاستعارة التي نحصيا فيعتمد أحصاؤها على محورين :

محور نحوي ، ومحور دلالي . هذان المحوران على الرغم من أننا ندين باجتماعهما معاً لدراسة الدكتور "سعد مصلوح" (٢) . لكن ليس شرطاً أن يخضع نص أبي العلاء لما خضعت له نصوص البارودي وشوقي والشابي . فكل نص من هذه النصوص يحمل خصوصية صاحبه . وتجربته الإبداعية دون أدنى شك ، ومن هنا تحتاج هذه النصوص إلى خصوصية في القراءة ، ورؤية موضوعية نابغة من بين جنباتها لا من رؤية معدة ، ولا من قواعد ثابتة .

إذا كان الإحصاء كما سلف لبس بالبضاعة الغريبة علينا ، فكذلك هذا المنهج بشقيه النحوي والدلالي كما ورد عند "لاندون" وطلقه "سعد مصلوح" على البارودي وشوقي والشابي ؛ ليس بالغريب على تراثنا العربي ، وليس العودة إلى التراث أمام المناهج الحديثة من قبيل تضخيم الذات . أو من قبيل الحث عن دور في زمن عز علينا فيه الدور ، ولكنه من قبيل المأساة على ذواتنا ، المأساة من قلة الوعي بتراث كبير ، ومن ضعف القراءة لأفكار بكر ، يمكن البناء عليها وتطويرها ، لكننا للأسف ننسى على خلاء ، وهم يننون على بناء ونعمل فرادى . ويعملون جماعات .

١- عبد القادر البغدادي ، خزانة الأدب ولباب لسان العرب ، تحقيق وشرح عند اسلام هارون ، القاهرة . مكتبة الحاتجى للطبع والنشر والتوزيع الجزء اثناس ص ٢٥٠ ، ٢٥١

٢- د / سعد مصلوح ، في التشخيص الأسلوبى الإحصائى للاستعارة . دراسة فى دواوين البارودى وشوقى والشابى صص كتابه " فى النص الأئنى دراسة أسلوبية إحصائية ، النادي الأدبى الثقافى ، حدة ١٩٩١ ص ٢٠٣ ٢٥١

## التشكيل الاستعاري في شعر أبي العلاء المعري

كان الأجدربنا بداية - لكى ناصل للمنهج - أن نتتبع التركيبين : النحوى والدلالى للاستعارة فى تراثنا البلاغى والنقدى ، إن علم البيان التى خضعت مباحث الاستعارة له ، ريبب للغة تريبى فى حجرها وترعرع بين جنباتها ، وجمال بيه علماؤها العلاقة إنأ بين البلاغة والنحو واللغة تجعلنا نذهب مع القول بـ " أن النحو صناعة بلاشك وأن فقه اللغة معرفة بلاشك ، وأن البلاغة تقف بإحدى رجليها فى حقل الصناعات ويرجلها الأخرى فى حقل المعارف " (١) .

بداية ، وفى تراث الاستعارة هناك عدد من الألفاظ تقاسمت المفهوم ، وامتزجت فى مكوناته مثل : الشىء ، المعنى ، الكلمة ، اللفظة ، العبارة ، وغيرها ، ولا أفترض بداية اضطراباً فى المفهوم ، كما لا أدعى عدم الدقة فى الدلالة مقارنة بكتابات شيوخنا فى مرحلة نضج المصطلح ولكن أقول إن هذه المكونات توحى بالجمع بين اللفظ والمعنى ، والتركيب والدلالة ، وهذا ما يطمح البحث الوصول إليه ، مع التذكير على أن البحث لا يؤمن بالفصل بين هذه الثنائيات المعروفة . إن ثنائية التركيب والدلالة فى الاستعارة ، تحتاج إلى إعادة قراءة ، يمكن من خلالها الوصول إلى دلالة كمية لفهومها يستند على تأصيل عربى للمصطلح .

إن المتتبع للمفردات السالفة يخرج بتنظير للتركيب النحوى للاستعارة يستند على ما قدمه التنظير العربى لها خلال رحلة البحث فيها . لقد ورد لفظ " الشىء " فى تعريف الجاحظ ت ٢٥٥ هـ حين قال " تسمية الشىء باسم غيره إذا قام مقامه " (٢) . ولم يبتعد ثعلب ٢٩١ هـ كثيراً عن التعريف السالف فقال " أن يستعار للشىء اسم غيره أو معنى

١ - د / تمام حسبان ، الأصول ، دراسة ايمبيريولوجية للفكر اللغوى عند العرب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دار الشؤون الثقافية العلمية ( نشر مشترك ) ، بغداد . ١٩٨٨ ، ص ٩ .  
٢ - الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجى القاهرة ط ٥ ، ١٩٨٥ ، ص ١٥٣ .

## التشكيل الاستعاري في شعر أبي العلاء المعري

سواه<sup>(١)</sup>. كما جاء عند الرازي ت ٦٣٧ هـ في المحصول " تسمية الشيء باسم ما يشابهه كتسمية الشجاع أسداً والبليد حماراً وهذا القسم على الخصوص هو المسمى المستعار"<sup>(٢)</sup> أما " المعنى " فقد ورد في تعريف الأمدى ٢٧٠ هـ " إنما استعارت العرب المعنى لما ليس (هو) له إذا كان يقاربه أو يناسبه . أو يشبهه في بعض أحواله"<sup>(٣)</sup>

أما " الكلمة " فقد جاءت في تعريف ابن قتيبة ٢٧٦ هـ " فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة ، إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى أو مجاوراً لها أو متشاكلاً"<sup>(٤)</sup> . يتضح من رأي ابن قتيبة أن هناك رابطة بين المتشاكلين ، أو المتوافقين ، وبين المتجاورين ، كما أن هذا الرأي يرتبط بالمجاز المرسل أكثر من ارتباطه بالاستعارة . لأن السببية والمجاورة من علاقاته . " إن ما عرض له ابن قتيبة محصور في الاهتمام بقوة الرابطة الجزئية في الصورة الاستعارية المحدودة ، المنحصرة في دائرة الفكرة الجزئية "<sup>(٥)</sup> .

ولم يتعد ابن المعتز ٢٩٦ هـ حين قال " وإنما هو إستعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها ...."<sup>(٦)</sup> . وكذلك ابن فارس ٣٩٥ هـ حين قال " ومن سئنا العرب الاستعارة وهو أن يضعوا الكلمة للشيء مستعارة من موضع آخر"<sup>(٧)</sup> . أما الرماني ٣٨٤ هـ . فيستخدم لفظ " العبارة " قائلاً : " تعليق العبارة على غير ما وضعت في أصل اللغة على حجة النقل للإبانة "<sup>(٨)</sup> .

- ١- ثعلب، قواعد الشعر شرحه وعلق عليه د/ محمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة مصطفى الحلبي، ١٩٤٨ . ج ١ ص ٤٧
- ٢- فخر الدين الرازي، المحصول في علم أصول الفقه، بيروت، دار الكتب العلمية، ط المجلد الأول، ١٩٨٨، ص ١١٢
- ٣- الأمدى، الموازية بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق السيد / أحمد صقر، مصر دار المعارف، ١٩٦١، ص ٢٥
- ٤- ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، شرحه ونشره السيد / أحمد صقر ، القاهرة ، دار التراث ، ط ٢ ١٩٧٢ ص ١٣
- ٥- د/ حسن السنداري ، أحكام النص الشعري في التراث النقدى والبلاغي، مكتبة الانجلو المصرية، ط ١ ٢٠٠١، ص ٤١
- ٦- عبد الله بن المعتز ، البديع ، نشر وتعليق ، اعطابويوس كراتشكوفسكي ، دمشق ، دار الحكمة ، ص ٢
- ٧- ابن فارس ، الصحاحي ، تحقيق السيد / أحمد صقر ، القاهرة ، عيسى البناي الحلبي ، د ت ص ١٦٧
- ٨- أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ، النكت في إعجاز القرآن الكريم ، ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم ، حققها وعلق عليها ، محمد خلف الله ، ور غول سلام ، مصر ، دار المعارف ، د ت ص ٧٤

## التشكيل الاستعاري في شعر أبي العلاء المعري

يستطيع البحث أن يستنتج ومن خلال المفردات التي سلفت في تعريف الاستعارة وجاءت في كتابات شيوخنا ، أن الاستعارة تكون في الاسم كما تكون في الفعل ، والحرف ولو أكملنا المسيرة مع تعريفات شيوخنا ؛ لكفانا "الشيخ عبد القاهر" التقصي والاستنتاج ، يقول في الدلائل وهو يتحدث بداية عن نظريته في النظم " معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض. والكلام ثلاث: اسم وفعل وحرف ، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة وهو لا يعدو ثلاثة أقسام تعلق اسم باسم ، وتعلق اسم بفعل ، وتعلق حرف بهما . فالاسم يتعلق بالاسم بأن يكون خبراً عنه أو حالاً ، أو بدلاً ، أو عطفاً بحرف ، أو بأن يكون مضافاً الأول إلى الثاني ، أو بأن يكون الأول يعمل في الثاني عمل الفعل ، ويكون الثاني في حكم الفاعل له أو المفعول وذلك في اسم الفاعل ... واسم المفعول ... والصفة المشبهة ... أو بأن يكون تمييزاً . وأما تعلق الاسم بالفعل فبأن يكون فاعلاً له أو مفعولاً فيكون مصدرًا قد انتصب به ... أو بأن يكون منزلاً من الفعل منزلة المفعول وذلك في خبر كان وأخواتها والحال والتمييز ، المنتصب عن سائر الكلام ، وأما تعلق الحرف بهما فعلى ثلاثة أضرب : أحدهما أن يتوسط بين الفعل والاسم فيكون ذلك في حروف الجر التي من شأنها أن تعدى الأفعال إلى ما لا تتعدى إليه بأنفسها من الأسماء ... والضرب الثاني من تعلق الحرف بما يتعلق به العطف وهو أن يدخل الثاني في عمل العامل في الأول . والضرب الثالث : تعلقه بمجموع الجملة " (١) ويقول في أسرار البلاغة " وأعلم أن اللفظة المستعارة لا تخلو من أن تكون اسماً أو فعلاً فإذا كانت اسماً كان اسم جنس أو صفة " (٢) ويواصل عبد القاهر فيقول " يقع الاسم المستعار فاعلاً أو مفعولاً أو

١ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإحصاز، تحقيق/ محمد التتجي، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي ١٩٩٥، ص ١٣: ١٥  
٢ - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، علق/ علي حواشيه السيد / رشيد رضا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١ ١٩٨٨، ص ٢٠٩

## التشكيل الاستعاري في شعر أبي العلاء المعري

مجرورًا بحرف الجر أو مضافًا إليه ، فالفاعل كقولك ، بدا لي أسد ، وانبرى لي ليث وبدا نور وظهرت شمس ساطعة ... والمفعول كما ذكرت من قولك رأيت أسدًا والمجرور نحو قولك لا عار إن فر من أسد يزأر ، والمضاف إليه كقوله:

يا ابن الكواكب من أئمة هاشم والرجح الأحساب والأحلام \* (١)  
ويذهب عبد القاهر إلى أن الاستعارة في الفعل ، تكون في إثبات المعنى لما اشتق منه من خلال الزمن التي تدل صيغة الفعل عليه يقول \* وإذا تقرر أمر الاسم في كون استعارته على هذين القسمين فمن حقنا أن ننظر في الفعل هل يحتمل هذا الانقسام ؟ والذي يجب العمل عليه أن الفعل لا يتصور فيه أن يتناول ذات الشيء كما يتصور في الاسم ولكن شأن الفعل أن يثبت المعنى الذي اشتق منه للشيء في الزمان التي تدل صيغته عليه فإذا قلت ضرب زيد أثبت الضرب لزيد في زمان ماض وإذا كان كذلك فإذا استعير الفعل لما ليس له فإنه يثبت باستعارته له وصفًا هو شبيه بالمعنى الذي ذلك الفعل مشتق منه (٢) . ولم يقف دور عبد القاهر عند هذا الحد من حيث تبين الجانب النحوي التي تكون عليه الاستعارة وإنما مزح عبد القاهر بين الجانب النحوي والدلالي في الاستعارة " وأنا أكتب لك شيئًا مما سبيل الاستعارة فيه هذا السبيل ، ليستحكم هذا الباب في نفسك ، ولتأنس به . فمن عجيب ذلك قول بعض الأعراب :

للليل داج كَنَفًا جليابه والبيئ محجورًا على غرابه

ليس كل ما ترى من الملاحاة لأن جعل الليل جلابيًا وحجر على الغراب ، ولكن في أن وضع الكلام الذي ترى فجعل "الليل" مبتدأ ، وجعل "داج" خبرًا له وفعلًا لما بعده هو

١ - عدائقها الحرجاني ، المرجع السابق ، ص ٢١١

٢ - عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تحقيق هـ ريفر ، دار المسيرة ط ١٩٨٣ ص ٤٨

## التشكيل الاستعاري في شعر أبي العلاء المعري

الكنفان ، وأضاف الجلباب إلى ضمير الليل ، ولأن جعل كذلك " البين" مبتدأ وأجرى محجورًا خبرًا عنه ، وأن أخرج اللفظ على مفعول ... " (١)

إن تقسيم عبد القاهر هذا نابع من نظرية النظم ، التي هي " أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو" وتعمل على قواعده وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ... " (٢)

إن هذه الأنساق من العلاقات بين الكلمات المكونة للجمل أغرى كثيرًا من الباحثين<sup>(٣)</sup> في الربط بين عبد القاهر وعلم اللغة الحديث ؛ وما يهمننا في هذا الجانب هو موقف عبد القاهر من المجاز عامة والاستعارة على وجه الخصوص ، وكيف استفاد المجاز من نظرية النظم ، وما علاقة ذلك بالدرس الأسلوبى ومباحثه إنه " وبإخضاع المجاز لسيطرة النحو يؤكد عبد القاهر امتداد هذه السيطرة على الحدث اللغوى كله ، بحيث تعتمد تحليلات التراكيب . المجازية وغير المجازية . على منطلقات نحوية خالصة ، تصل بين المستوى الملفوظ ، والمستوى المعقول " (٤) بل ذهب أحدهم إلى القول " ! إن اكتشاف عبد القاهر لوجود أنساق من العلاقات - وليس مجرد مجموعة أو مجموعات متناثرة منها - بين الألفاظ في التعبير اللغوى يعد واحدًا من أهم الكشوف اللغوية والنقدية في تراثنا

١- عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، قرأه وعلق عليه/ محمود محمد شاكر ، الناشر مكتبة الخالجي القاهرة ط ٢ ، ١٩٨٩ ، ص ١٠٢ وما بعدها .

٢ - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، المرجع السابق ، ص ٨١ .

٣- علي سبيل المثال لا الحصر انظر د/ محمد منور النقد المنهجي ، والميزان الجديد ، د/ عز الدين إسماعيل في حديثه عن معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني ، ود/ محمد عبد المطلب في مبحثه عن النحو بين عبد القاهر وتشومسكي ، من ص ٢٥ : ٣٦ انظر عدد فصول الخاص بالأسلوبية المجلد الخامس ، العدد الأول ( أكتوبر ، ديسمبر نوفمبر ) ١٩٨٤ . ود / صبحي الصالح في مقالته التي برز فيها معظم التعريفات اللغوية الحديثة إلى أصولها الأولية عند أسلافنا العرب الخالدين . انظر أصول الألسنية عند النحاة العرب ، مجلة الفكر العربى ، ع ٨ ، لسنة الأولى ١٩٧٩ ص ٦٥ .

٤- د/ محمد عبد المطلب ، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، دون ناشر ( طبعة خاصة بالمؤلف ) ٩٩٠ ص ٧٦

العربي" (١) كما يذهب صبرى حافظ أيضا للربط بين عبد القاهر، وبروك - روز من خلال كتابها *AGRAMMAR OF METAPHOR* كما ربط محمد عبد المطلب بين عبد القاهر وتشومسكى ، يقول " فنظرية النظم عند الجرجاني تتجاوز حدود البنية اللغوية لتشمل البنية المجازية كذلك ؛ كما أن نسقية هذه النظرية وقيامها على شبكة من العلاقات المتحولة دوما تشمل كلا المجالين اللغوي ، والمجازي في عملية الإنشاء وهذا مدخلنا إلى نحو *GRAMMAR* الصيغ المجازية عنده والذي سبق فيه بروك - روز بتسع قرون " (٢). إن التقارب بين عبد القاهر الجرجاني في طرحه لنظريته في النظم وبين علم اللغة الحديث ، هو تقارب يجب أن يعطى عبد القاهر حقه لدى العاملين في دراسة الأسلوب ، كما كان التقارب واضحًا بين أصحاب النحو التوليدي . ومنهم تشومسكى . والدراسات الأسلوبية " لأن كليهما يعنيان بنوع من الظواهر لا يختلف جوهريًا في واحد منهما عن الآخر... فمعظم الأحكام الأسلوبية ترجع إلى البناء العميق " (٣) الذي يقدم تصورًا ذهنيًا للجملة مستفيدًا من كل العناصر الداخلة في تركيبها غير متعد في تصويره هذا عن رؤية عبد القاهر التي صاغها في نظرية النظم .

تابع الإمام الزمخشري مشروع عبد القاهر، فالرجل قارئ جيد لكتاباتة ، مطبق وإع لأثره يقول : "...جاءت الاستعارة في الأسماء والصفات والأفعال حميعًا" (٤) . هذا عن الأسماء والصفات والأفعال أما عن الاستعارة في الحروف والالتساع فيها ، فحاعت عنده من خلال تعليقه على الآية الكريمة (أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ

١ - د/ صبرى حافظ ، مفهوم الصيغ المجازية بين التراث العربي والنقد المعاصر ، مجلة الف ( الجامعة الأمريكية )

ع ١٩٩٢ ، ص ١١٢

٢ - د/ صبرى حافظ المرجع السابق ، ص ١١٣

٣ - ج ب فورس ، النحو التوليدي والتحليل الأسلوبى ، ترجمة د/ شكرى عياد صص كتابه اتجاهات البحث الأسلوبى ، المرجع السابق ص ١٥٩

٤ - جار الله الزمخشري ، الكشاف ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٧٦

## التشكيل الاستعاري في شعر أبي العلاء المعري

أَلْمُفْلِحُونَ ﴿٤﴾ [البقرة ٤] " معنى الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شديت حالهم بحال من اعلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل " (١). ويقول في تعليقه على الآية الكريمة (وَلَا صَلْبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٦﴾ ) (طه ٧١) " شبه تمكّن المصلوب في الجذع تمكّن الشيء الموعى في وعائه فلذلك قيل في جذوع النخل " (٢) ويقول في " المفصل " في فصل الباء " والباء معناها الإلصاق كقولك به داء أى التصق به وخامره ، ومررت به وارد على الاتساع والمعنى التصق مرورى بموضع يقرب منه " (٣) وقال على " على " ... وتقول على الاتساع مررت عليه إذا جزته " (٤).

وفي تعليقه على الآية الكريمة (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأُ أَقْلَبِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [هود ٤٤] يتحدث الزمخشري عن الاتساع في النداء فيقول " نداء الأرض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والإقبال عليها من بين سائر المخلوقات وهو قوله : ( يا أرض ) (وياسماء) ثم أمرهما بما يؤمر به أهل التمييز والعقل من قوله ابلعي ماءك واقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم وأن السموات والأرض وهذه الأجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كأنها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمتهم " (٥).

ويتابع الإمام السكاكي ٦٢٦ هـ مشروع سابقه ، مستفيداً من تفعيدهم من ناحية ومنظراً بارعاً يطلق على المسميات أسماءها التي ظلت معروفة بها إلى يوم العباد هذا فبعد أن تحدث عن الاستعارة الأصلية التي تكون في الأسماء يتحدث عن الاستعارة

١- جار الله الزمخشري ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٤٤ .

٢- جار الله الزمخشري ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٧٦ .

٣- جار الله الزمخشري ، المفصل في علم اللغة ، كدم له وراجعاه وعلق عليه ، د / محمد عز الدين العبدى ، بيروت دار إحياء العلوم ، ١٩٩٠ ، ص ٣٣٩ .

٤- جار الله الزمخشري ، المرجع السابق ، ص ٣٤٢ .

٥- جار الله الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٩٧/٣٩٨ .

## النشكيل الاستعاري في شعر أبي العلاء المعري

التبعية فيعرفها بأنها " تقع في غير أسماء الأجناس ، كالأفعال والصفات المشتقة منها والحروف ... وإنما المحتمل لها في الأفعال والصفات المشتقة منها مصادرهما وفي الحروف متعلقات معانيها فتقع الاستعارة هناك ثم تسرى فيها وأعنى بمتعلقات معاني الحروف ما يعبر عنها عند تفسيرها مثل قولنا من معناها ابتداء الغاية وإلى معناها انتهاء الغاية وكى معناها الغرض . فابتداء الغاية وانتهاء الغاية والغرض ليست معانيها ، إذ لو كانت هي معانيها . والابتداء والانتهاؤ والغرض أسماء لكانت هي أيضًا أسماء ... وعلى هذا لا تستعير الحرف إلا بعد تقدير الاستعارة في متعلق معناه " (١) .

ويتحدث القزويني في الإيضاح عن (يا) التي للنداء ويصلها بالحروف التي تقع فيها الاستعارة فيقول " ومما يتصل بهذا أن "يا" حرف وضع في أصله لنداء البعيد ثم استعمل في مناداة القريب ، لتشبيهه بالبعيد ، باعتبار أمر راجع إليه ، أو إلى المنادى " (٢) .

ويقول السبكي ٧٧٢هـ في " عروس الأفراح " " (قوله كالفعل) يشير إلى أن الأفعال استعارتها تبعية فإنها إنما تستعار باعتبار استعارة المصدر فإذا قلت نطق الحال فقد استعرت أولا النطق للدلالة ثم اطلقت نطقك فالمشبه بالدلالة والمشبه به النطق والجامع حصول الفائدة " (٣) ، وعن الاستعارة في الحرف يقول " السبكي " " فالاستعارة في الحرف استعماله فيما لا يكون متعلق معناه بل هو شبيهه بمتعلق معناه " (٤) لقد جاءت الاستعارة في الحرف إذاً مع شرح التلخيص من خلال تقديرها في مدخول الحرف وليس في متعلقه يقول سعد الدين التفتازاني ٧٩٢هـ " (والحرف) إنما كانت تبعية لأن الاستعارة

- ١- أبو يعقوب السبكي ، مفتاح العلوم ، ضبطه وكتب شواهد وعلق عليه نعيم زرور ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٩٨٣ ص ٢٨٠، ٢٨١
- ٢ - الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، شرح وتعليق وتفتيح ، محمد عبد المعيم حناحي ، دار الكتاب اللبناني ، ط ٣ ، ١٩٧١ ، ص ٤٣٠
- ٣- بهاء الدين السبكي ، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، شروح التلخيص ، ح ٤ : مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ، د . ت ص ١١١
- ٤- بهاء الدين السبكي ، المرجع السابق ، ص ١١٨

## التشكيل الاستعاري في شعر أبي العلاء المعري

تعتمد التشبيه والتشبيه يقتضى كون المشبه موصوفاً بوجه الشبه أوبكونه مشاركاً للمشبه به فى وجه الشبه وإنما يصلح للموصوفية الحقائق أى الأمور المتقررة الثابتة كقولك جسم أبيض وبياض صاف دون معانى الأفعال والصفات المشتقة لكونها متجددة غير متقررة<sup>(١)</sup> ثم يقول بعد ذلك " (و) يقدر التشبيه ( فى لام التعليل نحو) **فَأَلْتَقَطَهُ** ) أى موسى ( **ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا** ) أى يقدر تشبيهه العداوة ( والحزن ) الحاصلين ( بعد الالتقاط بعلمته أى علة الالتقاط ) الغائية<sup>(٢)</sup> ويذهب الرأى نفسه " ابن يعقوب المعري " ١١١٠ هـ حين قال : " فكانت الاستعارة فى اللام تبعاً للاستعارة فى المجرور لأن اللام لا تستقل فيكون ما اعتبر فيها تابعاً للمجرور وهذا الطريق أعنى جعل التشبيه للعداوة والحزن بالعلة الغائية فيما ذكر مأخوذ من كلام صاحب الكشاف<sup>(٣)</sup>

إن موضوع الاستعارة فى الحروف تحدث عنه غير واحد من النحاة ، وذلك عند حديثهم عن الاتساع . فهذا ، "سببويه" يتحدث عن الاتساع فى " على ، وفى " فيقول " وأما مررت على فلان فجرى هذا كالمثل وعلينا أمير كذلك وعليه مال أيضاً وهذا لأنه شىء اعتلاد ويكون مررت عليه أن يريد مروره على مكانه ؛ ولكنه اتسع<sup>(٤)</sup> . ويقول عن " فى " " وأما فى فهى للوعاء كقولك هو فى الجراب وفى الكيس وهو فى بطن أمه " <sup>(٥)</sup>

ويتحدث الرماني ٢٨٤ هـ عن لام العاقبة " وقد تقع هذه اللام بمعنى العاقبة نحو قوله تعالى **(فَأَلْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ...)** أى فكانت

١- سعد الدين التنتارى ، مختصر السعد على تلخيص المفتاح ، شروح التلخيص ، السابق ح ٤ ص ١١٣

٢- سعد الدين التنتارى ، السابق ص ١٢٠

٣- ابن يعقوب المعري ، مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح ، شروح التلخيص السابق ، ح ٤ ص ١٢١

٤- سببويه ( أبويش عمرو بن عثمان بن قنبر ) اكتب ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، بيروت دار الحيل ، ط ١ ، دت ، ح ٤ ص ٢٣٠

٥- سببويه ، المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٢٢٦

عاقبته أن كان لهم عدوًا ، وهم التقطوه ليكون لهم ولدًا ، وبعض النحويين يسمي هذه (لام الصيرورة) أي ليصير لهم أو فصار لهم<sup>(١)</sup> .

وقد أشار الزمخشري من خلال ما أورده ابن هشام إلى الجانب المجازي الذي يتحقق من استخدام هذه اللام يقول : " قال الزمخشري والتحقيق أنها لام العلة وأن التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة وبيانه أنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدوًا وحرزنا ، بل المحبة والتبني"<sup>(٢)</sup> .

ويقول ابن اسحق صاحب كتاب اللامات بعد أن يعلق على الآية الكريمة السابقة " ... وهذا هكذا مجازه عند أهل العربية أن العرب قد تسمى باسم الشيء إذا جاوزه أو ناسبه أو اتصل به أو آلت إليه عاقبته"<sup>(٣)</sup> .

ويعقد ابن قتيبة بابًا يسميه باب دخول بعض الصفات مكان بعض<sup>٥</sup> في مكان على تقول : لا يدخل الخاتم في إصبعي أي على إصبعي ، قال الله عز وجل (وَلَا صَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ) أي على جنوع النخل<sup>(٤)</sup> .

وابن جنى ٢٩٢هـ يتحدث عن هذا الموضوع خاصة حين تتبادل الحروف مواقعها مع الأفعال المتعدية وبعد أن يذكر شواهد على ذلك يقول " ووجدت في اللغة من هذا الفن شيئًا كثيرًا لا يكاد يحاط به ولعله لو جمع أكثره لا جميعه لجا كتابًا ضخمًا فإذا مريك شيئًا منه فتقبله وأنس به فإنه فصل من العربية لطيف حسن يدعو إلى الأناج بها

١- أبو الحسن علي بن عيسى الرمائي ، معاني الحروف ، تحقيق د/ إسماعيل شلبي ، القاهرة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، د.ت ص ٥٦ ويتحدث للرمائي عن الاتساع في " في " كما تحدث سيويه أنظر ص ٩٦. والآية ٨ من سورة القصص .

٢- جمال الدين أبو محمد بن هشام الأنصاري ، معنى اللبيب عن كتب الأعراب ، تحقيق د/ مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر بيروت لبنان ، ١٩٨٥ ، ط ٦ ج ١ ، ص ٢٨٢ .

٣- أبو القاسم عبد الرحمن ابن اسحق ، اللامات ، تحقيق مازن المبارك ، دار الفكر دمشق، ١٩٨٥ ، ط ٢ ج ١ ص ١٢٠/١١٩

٤- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، أنب الكاتب ، تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، مصر ط ٤ ، ١٩٦٣ ، ص ٣٩٤ ، وما بعدها والآية ٧١ من سورة طه

## التشكيل الاستعاري في شعر أبي العلاء المعري

والفقاهاة فيها" (١) هذه عبارة حاول أن ينسجها البحث من مقولات شيوخنا لكي يعطى للمحور النحوي شرعيته . أما البلاغيون فلم يكن تناولهم البلاغى لهذه الموضوعات فقط كتناول النحاة لها أى من قبيل الاتساع أو شجاعة العربية ، ولكن كما يذهب شكري عباد " من زاوية التحسين واختيار العبارة الأقوى تأثيراً" (٢)

أما حين نذكر تقسيم الاستعارة بحسب النقل الدلالي إلى تشخيصية وتجسيدية وإحيائية (٣) . فلأن ذلك يرجع فى نشأته إلى الصيغ المجازية البدائية القديمة ، كما يتناسب مع الوضع الدلالي للاستعارة التى هى نتاج طبيعى للغة المجازية التى صاحبت الإنسان منذ معرفتنا بتاريخ حياته . كان البدائيون يهبون الحياة لكل شىء تقع عليه عيونهم " كانوا يجهلون التمييز بين الطبيعة العضوية ، والطبيعة غير العضوية . أو بين الحيوان والنبات وإذا تحدثنا من منظور مجازى عن حرية البشر الذين لا يعرفون كيف يفرقون بين الخيال والعقل ، فإنهم ينسبون إلى كل المحسوسات حياة شبيهة بالحياة التى يكشفها لهم وعيهم بذاتهم" (٤) . من هنا توزعت أنماط تفكيرهم بنقل المجردات إلى التجسيد والتشخيص والإحياء . فكل شىء كما يقول "لوسيف" " يستطيع أن يستعير

- ١ - أبو القح عثمان بن جسى ، الخصلص ، تحقيق / محمد على الشجار ، دار الكتاب العربى بيروت لبنان . ج ٢ ص ٣٠٨ ، ٣١٠ عرض الشيخ محمد عبد الحائق عصيمة - فى كتابه دراسات لأسلوب القرآن الكريم الجزء الثالث انقسم الأول الحروف والأدوات - لامتعامل حروف الجر بعضها مكان بعض فى القرآن مع ذكر لاختلاف آراء العلماء فيها مثل المبرد ، وابن جنى ، وابن الشجرى ، والشريف الرضى ، وغيرهم مع ذكر للآليات التى وردت فيها هذه السمة الأسلوبية أنظر الكتاب السلق ، مطبعة السعادة ، دت ص ص ، ٢٤٦-٢٥٩
- ٢- شكري عباد ، اللغة والإبداع ، مبادئ علم الأسلوب العربى ط ١ ، اتر ناشونال بريس ، ١٩٨٨ ، ص ١٢١
- ٣- نحين بهذا التقسيم إلى تطبيق الأستاذ الدكتور / سعد مصلوح لكلام "خارج لاندون" فى مبحثه " فى التشخيص الأسلوبى الإحصائى للاستعارة . المرجع السابق ص ٢١٧ كما قدم هريش بليث فى كتابه البلاغة والأسلوبية مستفيدا من آراء السابقين عليه حول الاستعارة وعلاقتها بالمجاز والكتابة خاصة تصور يانوسون فى دراسته الشبيرة عن الحبسة . قدم أنواعا عديدة للاستعارة بناء على طرقى الاستعارة ( المستعار منه ، والمستعار له ) والتي تحدثت عنها البلاغة العربية كثيرا عند الحديث عن أركان التشبيه . والتي عبر عنها المترجم بالتعويض فسط الاستعارة يقوم على عملية انتقبيه
- ٤ - روبرتسن سميت ، محاضرات فى ديانة السامير . ترجمة د/ عبد الوهاب علوب ، المجلس الأعلى للثقافة / مصر ١٩٩٧ ، ص ٩١

## التشكيل الاستعاري في شعر أبي العلاء المعري

صفات أى شىء آخر وخصائصها، والخلاصة فإن التجسيد الكلى الشامل هو النهج المنطقي لهذا الفكر"<sup>(١)</sup>

لقد ذهب (هربرت ريد) إلى القول بأن "التشخيص أو التجسيد لونه آخر من المجاز المتصل بالاستعارة، ويرجع فى نشأته إلى الصيغ البدائية القديمة مثل الألفاظ عند الأنجلوسكسون... والتشخيص يتألف من بث الحياة الفعالة (أو الحياة الإنسانية عادة) فى أشياء ليست ذات حياة"<sup>(٢)</sup>

الاستعارة إذن هى السر الكامن فى الكلمة الموروثة، الكلمة الحلى بخيالات المتعبين، ورؤى المهمومين، الذين ينسجون من هذه الخيالات حلاً ملموسة، ويشيدون من هذه المفردات بنايات محسوسة، ومن هنا كان للاستعارة موقف واضح من المفردات. بينهما دائماً عدم أطمئنان، هى تمتلك من السطوة والقوة والجبروت ما يؤهلها دائماً للتغيير، تغيير هذا المجرى، والشاعر هو من يمتلك العودة باللغة إلى حالتها الأولى، الحالة المجازية وإن أردت الدقة فقل الشاعر هو من يستطيع أن يخرج من الكلمة سرها المجازى الكامن فيها. الاستعارة بتعبير "ريتشاردز" هى "التوضيح أو التبيين أى قد تقدم مثلاً محسوساً لعلاقة كان لابد من وضعها فى لغة مجردة لولا هذه الاستعارة"<sup>(٣)</sup>

إذا كنا ذهبنا مع (هربرت ريد) إلى ربط التشخيص والتجسيد بالصيغ البدائية فيجب أن نعترف "أن التشخيص لم يكن يوماً ما مجرد صدى لعقائد يعتنقها الأوتل من

١ - غورغى غنتسف، الوعى والفن، ترجمة / بول بيوف، المجلس الوطنى لثقافة والنون والآداب الكويت (عالم الصحافة) ١٩٩٠ ص ٩٣

٢ - هربرت ريد، الاستعارة وطرق التصوير اللغوى، ترجمة / محمد حسن عبد الله، ضمن كتابه اللغة الثنية، دار المعارف دت، ص ١١٠

٣ - ريتشاردز، مبادئ النقد الأدبى، ترجمة / محمد مصطفى بدوى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، دت، ص ٣٠٩

## التشكيل الاستعاري في شعر أبي العلاء المعري

أجل تفسير الخير والشر في الحياة ؛ ولكننا مهما نلح على عمق العاطفة وسعة الخيال ، لن نستطيع أن نكشف كشفًا تامًا عن لب التشخيص " (١) .

لقد ذهب (أروين إدمان) إلى القول " إن القصيدة هي "الكلمة" وقد صارت "جسدًا" ، وربما كان من الأفضل أن نقول إنها "الجسد" وقد صار "كلمة" وهنا يتجسد العالم في عقل الشاعر ، وفي هذا التجسيد الذي يتخذ قالبًا كلاميًا موسيقيًا وتصويريًا ، يصح العالم حقيقياً في نظر القارئ الذي أيقظته التجربة وأذهلته " (٢) .

كان الأستاذ/ سيد قطب قد قدم تعريفاً للتشخيص والتجسيم من خلال تطبيق ذلك على القرآن وآياته ، فهو يرى أن التصوير هو الأداة المفضلة للقرآن الكريم فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية ، وعن الحوادث المحسوس والمشهد المنظور وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية . ثم يرتقى بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاحصة ، أو الحركة المتجددة . فإذا المعنى الذهني حركة أو هيئة ، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهداً ، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية" (٣) . ويقول عن "التشخيص" " لون من ألوان التخييل يمكن أن نسميه " التشخيص" يتمثل في خلق الحياة على المواد الجامدة ، والحلواهر الطبيعية والانفعالات الوجدانية ، هذه الحياة التي ترتقى فتصبح حياة إنسانية ، تشمل المواد والظواهر والانفعالات وتهب لهذه الأشياء كلها عواطف آدمية وخلجات إنسانية تشارك بها الأدميين" (٤) . أما "التجسيم" فيعرفه قائلاً " ولكن الذي نعنيه هنا بالتجسيم ، ليس هو

١ - د/ مصطفى ناصف ، الصورة الأدبية ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢٠ ، ١٩٨١ من ١٣٦

٢ - أروين إدمان ، الفنون والإنسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ( مكتبة الأمانة ٢٠٠١ ) ص ٨٥

٣ - سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، القاهرة ، دار الشروق ، الطبعة الثانية عشر ، ١٩٩٢ من ٣٦

٤ - سيد قطب ، المرجع السابق ، ص ٧٣

## التشكيل الاستعاري في شعر أبي العلاء المعري

التشبيه بمحسوس ، فهذا كثير معتاد ، إنما نعنى لوئنا جديدًا هو تجسيم المعنويات لا على وجه التشبيه والتمثيل ؛ بل على وجه التصيير والتحويل " (١)

قدم الدكتور / سعد مصلوح من خلال اعتماده على رؤية " جورج لاندون " تصنيفًا ثلاثيًا للاستعارة بحسب نقلها الدلالي على النحو التالي :

• الاستعارة التجسيدية : *REIFICATION* :

وتحصل باقتران كلمة تشير دلالتها إلى جماد *CONCRETE* بأخرى تشير دلالتها إلى مجرد *ABSTRACT*.

• الاستعارة الإحيائية *ANIMATIA* :

وتحصل باقتران كلمة يرتبط مجال استخدامها بالكائن الحي بشرط أن تكون من خواص الإنسان ، بأخرى ترتبط دلالتها بمعنى مجرد أو جماد .

• الاستعارة التشخيصية *PERSONIFICATION* :

وتحصل باقتران كلمتين إحداها تشير إلى خاصية بشرية والآخرى إلى جماد ، أوجى ، أو مجرد " (٢)

أما تصنيف الاستعارة بحسب التركيب النحوي فقد جاءت بحسب لاندون وتوسع د/ مصلوح فيها وهى : المركب الفعلى ، والمركب المفعولى ، والوصفى ، وأضاف د/ مصلوح إلى أنواع المركبات التى اقترحها لاندون نوعًا رابعًا وهو المركب الإضافى . واستنادًا إلى ما ذهب إليه د/ مصلوح من أن " هذا التصنيف صالح فى رأينا لأن يكون

١ - سيد قطب ، المرجع السابق . ص ٧٩  
٢ - سعد مصلوح - المرجع السابق ، ص ٢١٨

## التشكيل الاستعاري في شعر أبي العلاء المعري

أساساً قابلاً للتعديل والتطوير تقوم عليه دراسة اللغة الشعرية<sup>(١)</sup>، واستناداً لما رأيناه في تراثنا البلاغي والنحوي لوضع الاستعارة قمت بتصنيف الاستعارة نحوياً على النحو التالي:

### الاستعارة الفعلية :

فعل + فاعل

فعل مبنى للمجهول + نائب فاعل

فعل + مفعول به

### الاستعارة الاسمية :

مضاف + مضاف إليه

موصوف + صفة

صاحب الحال + الحال

### الاستعارة الحرفية : وهي تأتي من خلال الاتساع في الحروف .<sup>(٢)</sup>

طبقاً لما سلف نخلص إلى (النهج الزئ) يسير عليه (البحر)

١- حصر جميع المركبات اللفظية في شعر أبي العلاء من خلال ديواني ، سقط الزند، اللزوميات.

٢- تصنيف هذه المركبات إلى استعارية وغير استعارية .

٣- تصنيف المركبات الاستعارية بحسب حقولها الدلالية إلى :-

تشخيصية / تجسيدية / إجابئية

٤- توزيع الأنواع الدلالية على الأنواع النحوية ، أي يوزع كل نوع دلالي حسب التركيب

النحوي اسمية/ فعلية / حرفية

١ - سعد مصلوح ، نفسه ، ٢٠٨ .

٢- سيقوم البحث بتقديم تحليل يتناسب ومعطيات شعر أبي العلاء . انظر البحث ص ٤٧

## التشكيل الاستعاري في شعر أبي العلاء المعري

٥- تجرى عملية إحصاء لتحديد أعداد الأنواع السابقة كالتالي :

- يقدم البحث إحصاء في جداول لكل قصيدة يشمل:-

- رقم لقصيدة / عدد الأبيات / عدد المركبات غير الاستعارية / عدد المركبات الاستعارية / المجموع .

- كما يقدم البحث إحصاء آخر للمركبات اللفظية الاستعارية أرفق بالجدول ذاته حيث يبين الجانبين الدلالي والنحوي :

ينقسم فيه الدلالي إلى : .تشخيصية / تجسدية / إحيائية .

كما ينقسم النحوي إلى : .أسمية / فعلية / حرفية .

حين يصل البحث إلى تحديد لهذه الأنواع ، يكون الجانب الإحصائي قد اكتمل ويبقى الجانب التحليلي الذي يتخذ من نتائج الإحصاء السابق مادته ، ليخرج البحث برؤية أمل صاحبه أن يراه عليها في وقت ما .

على الرغم مما أثبتته الإحصاء من مقدرة ، وما قدمه من خدمات في مجال الدراسات الأسلوبية إلا أن الجانب الإحصائي وحده لا يكفي أمام هذا الفيض الإبداعي وأمام هذه البنية المعرفية التي تحتاج إلى رؤى متغيرة لما تمتلكه من دلالات متغيرة والبحث على قناعة تامة من أن الإبداع وحده هو القادر على أن يفتق من نسيج منهجه ، لا من مبادئ مسبقة مجهزة ، فكل عمل أدبي مستقل بذاته ، مغاير لأندائه ، لأنه إنتاج قريحة مغايرة ، وبصيرة خصبة غائرة ، يستطيع أن يفرز المنهج الذي يتلائم معه ، وذلك لعدم وجود إطار معرفي واحد يصلح لتفسير جميع النصوص ، ومن هنا فالمنهج ربما يحضج للتغيير في بعض جوانبه حسب مقتضيات البحث وسير الدراسة .

تأتي فصلون الكتاب على النحو التالي -

مقدمة :-

يعرض فيها الباحث لموضوعه ، ثم لمصادر دراسته قديماً وحديثاً ، كما يتعرض بعد ذلك لفردات عنوانه ، وأسباب اختياره لهذا العنوان ، وسبب اختياره للموضوع محل الدراسة . ثم يتعرض الباحث لتأصيل منهجه الذي تفتق من بين جنبات موضوعه ، ليطبقه على مدحته ، ثم يختتم مقدمته هذه بعمل إضاءات لفصول رسالته .  
**التمهيد :-** وفيه يعرض الباحث للاستعارة بين الدرس البلاغي القديم والدرس الأسلوبي الحديث .

**الباب الأول :-** يقوم فيه الباحث بإحصاء شعر أبي العلاء في ديوانه "اللزوميات" وسقط الزند" حسب مقتضيات المنهج . وينقسم إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : التشكيل الاستعاري في سقط الزند .

الفصل الثاني : التشكيل الاستعاري في اللزوميات .

الفصل الثالث : تعليق على نتائج القياس .

**الباب الثاني :-** ويقوم فيه الباحث باختبار عينات للتحليل من خلال ما فتقه الجانب الإحصائي . وينقسم إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : التشكيل الاستعاري للذات .

الفصل الثاني : التشكيل الاستعاري للزمن .

الفصل الثالث : التشكيل الاستعاري للموت .

**خاتمة :-** وفيها عرض لنتائج البحث .

المصادر والمراجع :